ينقلون أحوال الشخص إلى غيره هم معارفه وأهل بلده؛ فإذا أهملوه، أهمله غيرهم وجهلوا أمره. ومن هذه الحيثية تجدني في هذا الكتاب إذا ترجمت أحداً منهم لم أدرِ ما أقول، لأن أهل عصره أهملوه فلم يبق لدى مَنْ بعدهم إلّا مجرد أنه فلان بن فلان. لا يُدْرَى متى ولد، ولا في أي وقتٍ مات، وما صنع في حياته. فمن عرف ما ذكرناه علم أن المترجم له رحمه اللَّه قد أجاد في ذلك الكتاب في كثير من التراجم. وكان صاحب الترجمة من العلماء المشاركين في فنون عِدَّة، وله أبحاث ورسائل وقفت عليها، وهي نفيسة ممتعة. ونظمه ونثره في رتبة متوسطة. و(توفي) ليلة الثلاثاء لعله خامس ربيع الأول سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين وألف، ورثاه جماعة من الفضلاء بمراثٍ، وقد ذكر في تاريخه شيئاً كثيراً من شعره مفرقاً في تراجم شيوخه وغيرهم.

٣٧

(القاضي أحمد بن صَالح بن مُحمَّد بن أحمد بن صَالح)[1] (المذكور قبله المعروف بابن أبي الرجال)

الصَّنعاني. ولد يوم السبت خامس شهر محرم سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء، فقرأ على جماعة من أعيانها، منهم القاضي العلّامة أحمد بن زيد الهبل، والسيد العلّامة مُحمّد بن إسماعيل الأمير، والسيد العلّامة مُحسن بن إسماعيل الشامي، والسيد عبداللَّه بن أحمد بن إسْحاق بن المهدي، والسيد العلّامة إسماعيل بن مُحمَّد بن إسْحاق بن المهدي، والسيد يُوسف العجمي، والسيد العلّامة مُحمَّد بن زَيْد بن مُحمَّد بن الحَسن ابن الإمام القاسم. وبرع في جميع المعارف، وهو شيخ مشايخنا. وله يد طولى في النحو والصرف، والمعاني، والبيان والأصول، والتفسير، ومشاركة فيما عدا ذلك. وقد عكف عليه جماعة من الأعيان، وأخذوا عنه في فنون متعددة، وتخرجوا به وصاروا أعيان عصرهم. فمنهم شيخنا العلّامة الحَسن بن إسماعيل المغربي رحمه اللَّه، ومنهم شيخنا العلّامة القَاسِم بن يَحْيى الخَوْلاني، ومنهم شيخنا العلّامة عبداللَّه بن الحَسن بن عليّ الأبيض، ومنهم شيخنا العلّامة علي بن هادي عرهب، والسيد العلَّامة إسماعيل المفتي. وسيأتي ذكرهم، إن شاء اللَّه تعالى. وقد اتصل المترجم له بالإمام المهدي العبَّاس بن الحُسين رحمه اللَّه، ليقرئ أولاده فيما يحتاجون إليه من العلم، ثم ارتفعت درجته عند الإمام. وكان يجالسه ويحادثه، ويأخذ عنه من فوائده. وأركبه الخيل واختصه، ورفع منزلته حتى كان تارة بمنزلة الوزير، وأخرى بمنزلة المشير، ومع ذلك فلم ينقطع عن نشر العلم

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ١٧٩؛ معجم المؤلفين: ١/ ٢٥٢؛ الأعلام: ١/ ١٣٧.

بحسب الطاقة. ولم يزل على حاله الجميل حتى مات سنة ١١٩١ إحدى وتسعين ومائة وألف. وله حواشٍ على شرح «الغاية» و«الكشاف». وحواشيه مفيدة جدّاً، في غاية من الدقة والتحقيق. نقلها عنه شيخنا المغربي المتقدم في كتبه.

٣٨

(السيد أحمد بن صَلاح بن يَحْيَى الخطيب الكَوْكباني ثم الصَّنعَاني)

أخذ العلم عن السيد العلّامة إسْحَاق بن إبراهيم بن المهدي. وبه تخرَّج، وعليه عوّل. وبرع في المعارف، وجمع رسائل، منها رسالة في كون الفرجين من أعضاء الوضوء سماها (الرياض الندية). وقد أجبت عليه برسالة سميتها (الصوارم الهندية المسلولة على الرياض الندية). ومنها رسالة أجاب بها على رسالة للسيد العلّامة مُحمَّد بن إسماعيل الأمير جمعها في مسائل ثمانٍ، ومنها رسالة في تحريم المتعة. وحصل معه خفة في الدماغ، فكان يتردد ما بين صنعاء وشبام، ثم تراجع عقله، وتصوَّف ومال إليه جماعة من الناس، وأخبروا عنه بمكاشفات وأحوال. وابتلي آخر المدة بذهاب بصره. ولعلَّ موته على رأس القرن الثاني عشر أو قبله بقليل[1].

٣٩

(أحمد بن عَامر الحدائي ثم الصّنعاني)

أخذ علم الفقه، والفرائض بصنعاء عن جماعة من علمائها، وتصدَّر للتدريس في الفنين بجامع صنعاء. واستفاد عليه جماعة من الأعيان. وكان في لسانه ثقل لا يكاد يعرف عبارته ويفهمها إلّا من مارس ذلك. وكان زاهداً، متقللاً من الدنيا، مواظباً على الطاعات، آمراً بالمعروف؛ ناهياً عن المنكر، يغضب إذا بلغه ما يخالف الشرع. وفيه سلامة صدر زائدة. قرأت عليه في الأزهار وشرحه مرتين، وفي الفرائض وشرحها للناظري مرات. وكان مواظباً على التدريس، لا يمنعه منه مانع. فإنه يقع المطر العظيم الذي يمنع من خروج من هو في سن الشباب فلا يكون ذلك عذراً لدى صاحب الترجمة، لرغبته في الخير وحرصه على إفادة الطلبة. ولقد استمر انصباب المطر في بعض السنين من قبل الفجر إلى قريب وقت الظهر وكان معنا درس عليه وقت الشروق، فما تركت الذهاب إلى الجامع، لعلمي بأنَّ مثل ذلك لا يمنعه مع عُلوِّ سنِّه. فانتظرت له في المكان المعدّ للدرس فلم يأت هو ولا أحد من الطلبة وهم كثيرون، فجاء اليوم الثاني وقال لي: هل أتيت إلى هنا، قلت: نعم، قال: لو علمت

(١) في جامع المتون: توفي أحمد بن الصلاح في جمادى الآخرة، سنة ١١٩٦هـ.